

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يضادني ، أعلمهم اختلفوا في ذلك ... (و) زعم قوم ان بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يضادني ، في ذلك المعني ، ولا اعرف انا ذلك . فاما المعروف في الضد في كلام العرب فخلافا للشيء ، كما يقال : الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق .. » .

وكان في اكثر الاحيان يأتي بهذا التقيد في الاضداد المتعلقة بالقرآن تخرجاً منه وورعاً . مثال ذلك قوله « (11) : » كان أبو عبيدة يقول : خفاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقتنم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن . » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال أبو عبيدة : الخنذيد من الخيل : الفحل والخصي . وغلظ ، انما الخنذيد الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيد ، وشاعر خنذيد . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كاييات واتنا

وخناذيد خصية وفحولا

الخصية : الخصيان . فاراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن أبي خازم في نعت فرس :

وخنذيد ترى الفرمول منه

كظي الزق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال أبو عبيدة : اسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول في هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله في هذا ، والله اعلم . وقد زعموا ان الفرزدق قال :

فلما رأى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذي كان اضمرا

ولا اثق ايضا بقول الفرزدق في القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذي كان اظهرا » اي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط في شعره ، وليس في قول نظيره جرير والاخلط شيء من ذلك . فلا اثق به في القرآن . » .

كذلك عند ابي حاتم نقد واحد قام على ان الضد من احتمالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول ابي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذورها » يريد لم تعد ذورها ، اي ان ذرت ، اي طلعت . وانشدنا ابو زيد :

انا فلن نعدل سواه بغيره

رسول اتى من عند ذي العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقال الاخفش : اراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالهاء ترجع الى سواه . وهذا من احتمال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك .» .

— * —

كتاب ابن الانباري

وصل لنا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف - كابي حاتم - بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التأليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيدا لوضع الاضداد في موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى في اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها ان ابن الانباري ادخل في مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذي اختطه في كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في احصائها كتابا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم اتى من الحروف

(11) 117 .

(12) 115 .

(13) 168 .

(14) 181 .

(15) ص 13 .

بجزء . واسقط منها جزءا ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها . فرايت أن أجمعها في كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستفني كاتبه والنظر فيه عن الكتب القديمة المولفة في مثل معناه ، إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعد منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد .

ووفى المؤلف من الخطوة الأولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما في أضداد ابن السكيت وأبي حاتم ، ما عدا قريبا من 30 أهملها لشكها فيها - وجميع ما في أضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه أبو حاتم في الباقيين 77 ، 164 . وزاد عليها أضدادا أخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، إلى جانب ما أورده من فوائد في أثناء الحديث عن الأضداد نفسها .

أما « حسن البيان » فظهر أولا في الخطة التي رسمها لنفسه ولم يجد عنها تقريبا . وأوجزها في الابتداء بالتنبيه على أن اللفظ من الأضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد أن كان بين يديه شيء منها . وها أنذا أفتح الكتاب عفوًا ، لا لتقط الضد الذي يكون فيها . قال (16) : « وتائم حرف من الأضداد . يقال : قد تائم الرجل : إذا أتى ما فيه المائم ، وتائم إذا تجنب المائم ، كما يقال : قد تحوب الرجل إذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . أخبرنا محمد بن أحمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا أحدا منهم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تائما من ذلك ، أي تجنبيا للمائم . . » وكان في بعض الأحيان يجمع بين كلام قطرب والأصمعي في سياق واحد ، كما فعل غيره أيضا (ريب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » في حشو المواد . فقد عني بابانه أصل الأضداد وما اتصل بها من مشتقات في أحيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسب أصله من حسبت الشيء أي وقع في

حسابي . تم كسرت السين منه ، ونقل إلى معنى الشك . . . وقال الفراء : خلت أصله من الخيال إذا تخيل لك الشيء ، ثم عمل في الاسم والخبر . ونقل إلى معنى الظن . . » .

وعنى في بعض الأضداد بإيراد معانيها الأخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان أربعة : معنيان متضادان : أحدهما الشك . والآخر اليقين الذي لا شك فيه . . والمعنيان اللذان ليسا متضادين : أحدهما الكذب ، والآخر التهمة . فإذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان . أي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم إلا يظنون » .

وأكثر في علاجه للمواد من إيراد الأحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال في « توسد (19) » : « وأنشد الفراء :

يا رب ساربات ما توسدا

الا ذراع العنس او كف اليد

أي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض بإضافة الكف إليها ، وثبتت الألف فيها . وهي مخفوضة ، لأنها شبهت بالرحى والفتى والعصا ، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام أباك ، وجلس أخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب أصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماضٍ من قولك : قد كف فلان الأذى عنا . . . وقال : « الأون حرف من الأضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمثونة . . . والمثونة أخذت من الأون ، وهو التعب والنصب . والأصل فيه ماونة مفعلة ، من الأون ، فنقلت ضمة الواو إلى الهمزة ، ويجوز أن تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فإذا قالوا هو عظيم المثونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز أن تكون المثونة مفعلة من الأين ، والأين التعب . قال الشاعر :

(16) 105 .

(17) 43 .

(18) 1 .

(19) 115 .